و عمّا كنتُ أريد أن أحدّثكِ عنه؟ آه تذكّرت؛ دخل رجل يحملُ هدايا في يديه بينما كنتُ موجهٌ وجهي للقبلة أشاهد غروب الشمس و دنوّها من الاختباء خلف حبال بكّة. كل شيء كان يثير الطمأنينة بداخلي و ينشر السلام في عقلي حتى بعثره دخول هذا الرجل. رأيته يضع الهدايا على السرير الأول و الثاني حتى وصل لسريري السادس فنهضت من باب الاحترام له لكي أستلم منه ماكنت أعتقد بأن لي نصيب منها؛ و كنتُ مخطئًا إذ لم يمد يده لي بواحده بعدما قرأ اسمي و بحث في أسماء مسجلة في ورقة لديه و لم يجد اسمي المبجل من ضمنها.!
هوّن علي ابتسامته و مبادرته العاجلة بشرح سبب عدم وجود اسمي حيثُ أخبرني بأن الهدايا هي من النساء الحاجّات لأزواجهم الحجاج بمناسبة عيد الحج المبارك. لا أنكر بأني شعرت بالغبن وقتها و أنا أرى كل شخص لديه هديته الخاصة من زوجته لكن قلت في نفسي ما اعتدت قوله منذ أن عرفتك: " لا يهم. "

عدت لاحقًا أشاهد وجوههم وهم يشاهدون هدايا زوجاتهم و يقرأون عباراتهن المكتوبة على الهدايا؛ و أقسم لك بأني قرأت كل عبارة كتبت من خلال رؤيتي لتعابير وجوههم. النساء إن كتبن لأحدهم فإنهن يكتبن بصدق فكانت المتعة في مشاهدة ردود الفعل و التي لا أريد الخوض فيها حتّى لا تشتمين أبناء آدم.

المتعة الأخرى كانت في اختيار الرجال هدايا لزوجاتهم و كتابة عبارات ترد على العبارات التي كتبت لهم؛ كان مضحكًا أن جميعهم لا يعلم ما سيكتب لزوجته و يطلبون من بعضهم المساعدة؛ و كنت قادرًا على المساعدة لكن إيماني بأن ذلك غش، جعلني أصطنع بأني مشغول بأمر ما على هاتفي. أحببتُ انهماك ذلك الحاج المصري في كتابة العبارة اللائقة لزوجته؛ و لم تكفه ورقه بل طلب ورقة أخرى ليكمل ما كتب، كانت أعين الآخرين تحسده على تحوّل الورقة البيضاء في يده إلى زرقاء كل كلمة تزاحم الأخرى؛ حتى ابتسامته و رفع أحد حاجبيه وهو يكتب يدل على استمتاعه بذلك.

غلّفت الهدايا و أرسلت مع ذات الشخص الذي قضّ مضجع خلوتي عند الغروب، و عاد بعد تسليمها ليخبرهم بأن النسوة سيفتحون الهدايا و يقرأون العبارات علنًا بينهن؛ كان ذلك اتفاقهن قبل أن يرسلن الهدايا إلى أزواجهن. كل الرجال تقبّلوا ذلك بصدر رحب وابتسموا إلا الحاج المصري؛ صرخ و لطم على وجهه و قال : " يا لهوتي، يا فضيحتي" !

كانت لتكون متعة كبرى لو اكتمل المشهد و رأيت النساء وهن يقرأن العبارات المكتوبة لهن ؛ و كنت أرغب بشدة مشاهدة وجوههن و هن يستمعن لما كتب الحاج المصري لزوجته. لا أظنها فضيحة له و لا مصيبة لها؛ بل أظن بأن من سيستمع لتلك الكلمات سيعلم حقًّا كم يحبها و تحبه..!

أقول: لو كنتِ هناك بين النسوة، و كان بين يدي هدية لك و ورقة بيضاء و قلم لأكتب لك بعضًا منّي إليك، ماذا تظننين بأنه سيحدث حينها؟

بالمناسبة، كنتِ قد طلبتِ منّي بأن أدعو لك في أيام المغفرة و لم أفعل، لكن كوني موقنة بأني لم أدعو عليك..